والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الرابع

المذبحة

قصر الرشيد . سدّة للخليفة

المشهد الأول

الفضل . الرشيد . مسرور . ياسر

الرشيد يا للعار ! يا لخيبة الآمال !

الفضل سيّدي

الرشيد اهكذا تُشير عليَّ بقتل العلويّ فأعوّل عليك في انجاز مرامي فتعود بصفقة خاسر ذليلًا غيرَ اهل ان تُذبح بسيف برمكي ! أتدعُ بين ايديهم سيفي ذا الفقار شاهدًا عليَّ ! يا للفضيحة ويا للعار !

الفضل لا عارَ عليك يا امير المؤمنين

الرشيد كيف لا عارَ والبرامكة يُذيعون الخبر في بغداد فتتناقلهُ الافواه من مكان الى مكان فيُضحي الخليفة سُبَّةً على السنةِ الناس يَعزون اليهِ التخلُّق بالتقى والعبادة واضمار المكر والخديعة

مسرور حاشاك ان يُلبسك هؤلاء المَرَدة ثوبَ الصَّغار

ياسر مُرْ ما تشاء فلا تلقَ منَّا الّا عبيدًا طُوَعًا

الفضل نحن معشر الأمناء نقوم بما تُسندُ الينا من امضاء عدلك واظهار حقّك

الرشيد انّي لعاجز !

الفضل « انما العاجز من لا يستبدّ »

مسرور فاستبدّ اخيرًا سيدي. قل كلمةً فتستأصل شأفة البرامكة عن آخرهم

[الفضل ان فيهم يحق ما قالهُ سديف:

لا يغرّنك ما ترى من فعال إنّ تحت الضلوع داء دويًا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها بريكيًا (١)]

الرشيد ما الراي وما التدبير؟

الفضل ان البرامكة ارادوا الوصول الى مرامهم بالدهاء والمكيدة فعاجلهم بالقصاص قبل ان يشهروا اسرارك فيستفحل الامر

الرشيد ما اسهل القول واصعب الفعل

الفضل وان تأخرتَ ساعة عن قتلهم وتركتَ جعفرًا يخرج من قبضتك استعان بقفور وبسلطان الفرنجة حيث بعث بعبدالله ثم اقام البيعة للعلوي فزال ملكك عن ملكك واباد دولة آل العباس وعفّى ذكرهم الى الابد

ياسر ان جعفرًا يُضمر لك الشرّ ولا يزال يتهدّد امير المؤمنين ويسخر به امام الخاصّ والعام. أما سمعتَ ما قالهُ لاسمعيل الهاشمي؟

الرشيد وما قال؟

ياسر ما اكل الرشيد الخبز الّا بفضلي وما قامت دولتهُ الّا بي فوالله لئن عاندني ولم يسرّ طوع خاطري لتكونن جرأتهُ وبالًا عليه

الرشيد يتهدّدني جعفر انهُ خدّاع نفسهُ. يُهينني ويستذلّني وتربة المهدي لأرجعنّ سهمهُ الى نحرهِ. لكن ما الحيلة؟ إني لعاجز لا اتجرّأ على صعاب الامور

الفضل (يركع) سألتك بالله يا امير المؤمنين وبتربة المهدي وبشرف نفسك ان تأخذ بناصر الخلافة العبّاسيّة والّا تدعها عرضةً للذلّ والشنار فان جعفرًا فعل ما ينكس الابصار ويسربل اعقابك بثوب من العار

الرشيد بيّن مقالك ثكلتك امك والّا قتلتُك

الفضل سَلْ ياسرًا ومسرورًا

ياسر ان بني برمك قد مرقوا عن الدين القويم واسرّوا مقالات ومبادئ

---

١) مجاني الادب ٥ عدد ٢١٢ والشعر قد قيل في بني امية

ينكرها كل مؤمن صادق

مسرور ان جعفرًا قد اذل عترة المهدي (١

الرشيد وما مُرادكم ؟

مسرور الامان

الرشيد لكم الامان

مسرور سل زبيدة تطلعك على امره مع العبّاسة (٢

الرشيد ان كنتم كاذبين قتلتكم شرّ قتلة. جهّز يا فضل امري باهلاك البرامكة عن اخرهم

الفضل نعم سيّدي (يخرج الرشيد)

المشهد الثاني

الفضل . مسرور . ياسر

الفضل قد فزنا بالمراد. ان زبيدة شريكةٌ سرًّا وهي من الدّ اعداء جعفر. فسوف تُؤجج نار الغضب في صدر الرشيد. امّا الحكم فقد اعددتُهُ وكتبتهُ منذ ايّام لا ينقصه الّا توقيع الرشيد (يخرجهُ من جيبه ويقرأ) : «... ان يُقتلَ البرامكة وتمحَى آثارهم ويُمحق ذكرهم وتُخرب دورهم ويُباحَ ذمارُهم وتُقبض اموالهم. ومن ذكرهم سرًّا او علنًا كان الموت جزاءهُ». قد حان وقت الاخذ بالثأر فطِبْ قلبًا يا ابن الربيع وافرح بالغلبة وبلوغ الاماني

مسرور ونحن ما جزاؤنا ؟

الفضل قصور البرامكة مشحونة بالذهب والدرر والحلل والاموال. وهي لنا

ياسر وانا قد قنعتُ باعباء ما أمرتني به رغمَ المصاعب. فما يكون حظي ؟

الفضل تُرفع الى معالي الرتب وترتع في مراعي اللذات تبعًا لاهوائك المعهودة

ياسر هذا جزائي (يحزن)

---

١) تلميح الى حكاية العباسة

٢) الاتليدي (١٦٩) وغيره

مسرور انظر . ارى البرامكة قادمين الى قصر الرشيد اجابة لدعوته والجموع تحيط بهم

ياسر وهم يجهلون أننا واقفون لهم بالمرصاد

مسرور وأن قد اقتربت ساعتهم

الفضل لكن اخاف جبنَ الرشيد وتردّدَهُ وقصر همّته عند الخطوب الصعاب لاسيما اذا قابل جعفرًا ويحيى

مسرور ان نجح اليوم مسعانا نلنا النصيب الاعلى والّا هلكنا لا محالة

الفضل لذا خذ يا ياسر هذه البدرة فاذا رأيتهم قد دخلوا الباب فأرم بالدنانير بين القوم واستوروا زناد الفتنة وأعلمهم أن الرشيد عازم على قتل يحيى وذويه ظلمًا وحسدًا إن لم ياتوا لخلاصهم فيهيج هائج الغيظ بين الشعب وتضطرم نائرة الثورة في قلوبهم فيكثر الهرج والمرج ونحن نرى هنا في امرنا .

ياسر نعم الراي (يخرج)

الفضل (لمسرور) وانت سرْ مسرعًا الى قائد الحرس وأمرْهُ من قبل الرشيد ان يكون على حذر من فتنة ارادها البغاة ولا تتأخّر فاني ارى الرشيد عائدًا

مسرور فهْ درُكَ من داهية (يخرج)

المشهد الثالث

الفضل . الرشيد (ثم مسرور وياسر)

الرشيد (وحده في اوّل الرسح) يا جعفر ما كافأتني ولا عرفتَ حقي . يا جعفر لقد خنتني . يا جعفر ألم أملّك محلّ نفسي فتدرت بي ولم تتبصر في مغبّة الامور — اللهمّ انك تعلم ان البرامكة قد وجب عليهم القتل وانا أستخيرك فخِرْ لي (١

الفضل سيّدي دونك الامر تبعًا لارادتك

الرشيد هات . عجلتَ يا ابن الربيع عجلتَ (ينظر الى الصك ثم يردّه) ما اقساك !

---

١) الاتليدي (١٧٣)

يُبكى علينا ولا نبكي على احد لنحن اغلظ اكبادًا من الإبلِ (١

لا استطيع ان ارقع على مثل هـذا الحكم. أقتلُ مَن ربيتُ في حجره ودرجتُ في عُشهِ وكان سببَ خلافتي! كم من مرّة دعوتُهُ ابتِ. أقتـل جعفرًا رضيعي وخليلي. اقتل الاولاد والنسـاء كبارًا وصغارا. ظئري مَن ارضعتني وعطفت عليَّ واحبَّتني فكبرتُ في حضنها وترعرعت بين ذراعيها. ولدا جعفر دمٌ من دمي — لا. لا استطيع. قد تراخت مفاصلي وتهكتني الحمّى وانهدَّت قواي (يلقي بنفسهِ على كرسيهِ)

الفضل ما العمل؟

(صراخ من الخارج:) حيًّا الله البرامكة — البرامكة سلاطين البلاد

الرشيد ما هذا؟

الفضل ارى البرامكة قادمين عليك في موكبهم

الرشيد وما هذه الاصوات؟

الفضل تعظيماً بهم. هم السلاطين!

الرشيد يا لله! يا الحيلة؟

الفضل انظر الى هذا الموكب. يُحيط بالبرامكة القوّاد والشرفاء والامراء والعمّال. إن الجموعَ على باب البرامكة وامير المؤمنين ما على باب داره احد. انظر الى دوابهم الستَ ترى اعجازها الى قصرك. هذا هو الاستخفاف بعينهِ (٢

الرشيد لا اصبر على هذا

(صراخ من الخارج:) حيًّا الله البرامكة

الفضل يلقون بالصرر يمينًا وشمالًا ليجتذبوا الجماهير الى الفتنة (٣

(صوت من الخارج:) الخليفة... جعفر ويحيى...

الفضل لا اعي تمام الكلام لكني احسبُ القومَ يطلبونَ ترعـكَ عن الخلافة وتسليمها للعلوي وللبرامكة اصحابهِ

---

١) قالهُ الرشيد بعد ما فتك بالبرامكة

٢) الاتليدي (١٦٧)

٣) كانت صلات يحيى لمن يعرض لهُ في طريقهِ مائتي درهم (الاربلي ١١٧ والنخري الخ)

الرشيد هو هذا. لا اصبر على الذلّ والهوان. (يصفق) مسرور

مسرور امير المؤمنين

الرشيد احشد الحرس حول منزلي واذن للبرامكة ولاطفهم فاذا دخلوا اوقف جنودهم وغلمانهم بخدعة ثم مل بجعفر الى القبة التركيّة وتُحيط به الجنود (١

مسرور نعم

الرشيد وانتظر اوامري (يخرج مسرور) كفاني ذلًا وهوانًا . فالموت الموت جزاؤكم يا آل برمك ولو ثارت عليَّ البلاد وعرّضتُ بدولتي الى الخراب وبروحي الى الهلاك

الفضل هذا يحيى قد دنا يخطر الحلاء

الرشيد بايِّ لسان اخاطبهُ وقد دعوتهُ ابي. إني لعاجزٌ

الفضل لستَ بعاجز. لكن لا تدع الاهواء تسطو عليك فالحزم يقضي بانتهاز هذه الفرصة لتفكَّ القيود التي بها قيّدوك وتغضب لشرف المأسيين الذي اذلّوه وتأخذ بثار الدين الذي جحدوه وتهدم اركان الشرّ الذي ابتنوه

الرشيد . لا بدَّ. لا بدَّ. اللهمَّ انك تعلم ان البرامكة قد وجب عليهم القتل وانا استخرتك فخرتَ لي (٢ (يجلس الرشيد والفضل ويدخل يحيى)

المشهد الرابع

الرشيد . الفضل . يحيى

يحيى السلامُ على امير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتُهُ . . . (لا احد يجيب)

يا للعجب حتى الفضل لا يقف لسيّده (٣

الرشيد دعه . ليس الخائن باهل للاكرام

يحيى ومن ذا الخائن ؟

الرشيد انت ايها الشيخ الخدوع المكّار يا ناكر الجميل وكافرًا بالنعم

١) الطبري والنخري وسائر المؤرخين

٢) ابن الاثير وغيره

٣) الطبري (٣ : ٦٦٩)

يحيى يعلم الله اني أخلصتُ الخدمةَ لامير المؤمنين

الرشيد اقتُلك على بيت المال تجمعت القناطير المقنطرة لكَ ولولدك سلباً واختلاساً

يحيى قد افترى علينا الحسَدة زوراً. فنحن ملأنا بيوت الخليفة اموالاً ورفعنا عن الرعايا ما كان العُمّال الظالمون يحتلونهم من الاثقال باستبدادهم وجورهم. فتلنا ما نلناهُ بجَدّنا واخلاص خدمتنا. على انّا لا نزال لك اصدق العبيد. فمالُنا وديارُنا وضياعنا وكل ما نملك هو لك فان اردتَ قبضهُ فانت السيّد المطاع

الرشيد وما هذه المواكب والوفود التي تفدر وتروح على ابوابكم. أأصبح البرامكة الاسياد والخلائف ؟

يحيى إنّنا عبيدُك وخدَمك ووزراؤكَ واصحابُ جيوشك ودواوينك. فان لم تكن الوفود على بابنا فعلى باب مَن تكون ؟ إنّما بابنا من ابوابك

الرشيد واين صاحبك يحيى بن عبد الله العلويّ ؟ (١

يحيى اطلقتُ سبيلهُ

الرشيد وانا امرتُك مراراً ان تقتلهُ فخالفتني ! وشدّدتُ امس على جعفر في التحفظ عليهِ فاطلقتَهُ !

يحيى انّما اطلقتُهُ استناداً على ما كتبتَهُ لهُ انت يا امير المؤمنين بخطّك من الامان وما اخذت على نفسك من الأيمان الغليظة فاشهدتنا وامراءك على صدق نيّتك وندبت اليهِ ابني الفضل فاجاب العلويّ آمناً واثقاً بعهدك وشهادتنا. فما ذنبي ان كنتَ عدلت عن فكرك ؟

الرشيد اوَ تجهل ان الفقهاء قد افتوا بانتقاض صكّ الامان ؟

يحيى فتوى كاذبة جبريّة لا شرعيّة قال بها ابو البختري تدلّساً وتزلّفاً

الرشيد ان العلويّ بعد الامان فعل وضع ودعا الناس الى نفسهِ فانتقض العهد

يحيى ذلك ما قالهُ الزُبَيري بنُ العوّام واذ جمعتَه مع العلويّ تمنّع اوّلاً عن الحلف بيمين البراءة مرتاءاً ثم حلف بها فما خرج من المجلس الّا وضرب

(١ الاغاني (١٧ : ٤٣)

برجله ومات (١)

[ذاق الزبيري غبَّ الحتفِ وانكشفت عن أبن فاطمةَ الاقوال والتُّهم]

الفضل يا امير المؤمنين ما هذه الجرأة! ايتطاول العبد على سيّده ؟

الرشيد لقد عدوتَ طورك وتهتَ في كِبرك فاكسر من زهوك واقيم عليك شواهد مكرك. اليست هذه رسالة جعفر بامرك الى اهل خراسان توصيهم بالعلوي. اتنكرها ؟ (٢)

يحيى. لا أنكرُ الحقَّ فالحقُّ سيفٌ على الكاذبين. هي رسالة الى الفضل ابني عاملك على خراسان اوصيه ان يُحسن ضيافة الشيخ ويُجري عليه شيئاً من المال يعيش به في الزهد والعبادة

الفضل ليست اقوالك الّا اباطيل مختلقة واكاذيب منمّقة

يحيى دعِ السبَّ يا ابن الربيع فهو من صفات اللئام. ولو عرفتَ مَن الشيخ الذي لعاملك لما اسمعتَهُ من الكلام فحشاً. أترضى يا هرون ان يُهان على مرأى منك ومسمع شيخٌ طالما دعوتَهُ اباك. وبيتَ في حجرهِ ورضعتَ مع بنيهِ فكان سبب خلافتك يوم عزم الهادي على خلعك وعرّض بنفسهِ للموت حبًّا بك فمكّنك من السلطان وقام وارلادهُ إخوانك باعباء الخلافة ورونقها احسن قيام عن نيَّة سليمة وخدمة صادقة (٣)

الرشيد كانت صادقة فنفدت منكم السرائر وانكشفت الضمائر. فاقتلوني بالرفق وقاتلوني بالكيدة رجاء خلعي عن الخلافة وتولية العلوي بدلًا مني. والله لا اصبر على هذا

يحيى برئتُ من حول الله وقدرته ان كنت اضمرتُ قط لك ولولدك شرًّا

الفضل لو كنتَ صادقاً فيما تقول لتقدّمتَ الى العلوي ان يبايع امير المؤمنين

الرشيد لا يرضى ابن ابي طالب بهذا ولو قُطّع اربًا

يحيى هاك صكّ مبايعتهِ. فاي سبيل لنقض الامان وسفك دم زكي ؟

---

١) الطبري (٣: ٦١٣-٦١٤) والفخري (٢٦٦-٢٦٧)

٢) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن بدرون (٢٤٧)

٣) الطبري (٥٧١ الخ) وابن الاثير (٦: ٢٤) والفخري (٢٧١) والمسعودي (٦: ٢٨٠)

الفضل اتحتمل سيدي هذه الجرأة ؟

الرشيد الستُ الخليفة المطلق الحكم في رعيتي ؟

الفضل اليس لامير المؤمنين ان يفعل ما يشاء فلا يُعارضهُ احدٌ في احكامهِ ؟

الرشيد الستُ سيّد الاجسام والارواح ؟

يحيى كلّا

الفضل كفرٌ على غدر

الرشيد ما هذا الكفر !

يحيى ناشدتك الله يا امير المؤمنين ان تعي كلامي . لله وحدهُ السيادة . اقامك على عبادهِ « فاذا حكمتم فاحكموا بالعدل » تذكّر ما نقشتَ على خاتمك « العظمة والقدرة لله » « فكن من الله على حذر » (١

الفضل ايُجيبُ العبدُ سيّدهُ !

الرشيد ما هذه المبادئ المريبة ! كأني بك تُنكر اني الخليفة

يحيى اعرفك سيّدي ووليَّ نعمتي امير المؤمنين وليس لي سيّدٌ على الارض سواك

الرشيد كذبت وخدعتَ . الموتُ الموتُ جزاؤكَ (سكوت)

يحيى (بهدو) اتقِ الله يا امير المؤمنين فيما ولّاك من رعيّتهِ ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد صدقتُ لك النصيحة ومحضتُ لكَ الطاعة وشددتُ اواخيَّ ملكك فسهّلتُ لك الوعور وذلّلتُ الامور وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور وتصدّيت للمهمّات واظهرتُ رونق الخلافة حتى سمّى الناس ايامك ايام العروس (٢ فكم ليل تمام فيك كابدته

ومقام ضيق فرّجته ببيانٍ ولسانٍ وجَدَلْ

واني ووُلدي ابرياء مما عزا الينا الكاذبون اعداؤنا واعدائك . فالله الله في دمنا لا تهرقهُ بظنّ قائل او بغي باغٍ (٣

---

١) الاربلي (٨١) وغيره

٢) الفخري (٢٧٠) والمسعودي (٦ : ٣٨٨)

٣) المسعودي (٦ : ٣٠٢) وابن الاثير (٦ : ٦٥)

الرشيد ليس الامر ظنًّا ولا بغيًا وقد اذلّ جعفر وُلد العبّاس

يحيى كم من مرّة نهيتهُ عن منادمتك. الم اقل لك يا امير المؤمنين اني اكره مداخلة جعفر لك واست آمن ان ترجع العاقبة علينا منك فلم ترضَ (١. فاي ذنب لي وانتَ اردت ذلك فحدث ما حدث منذ اعوام وندم جعفر على ما فرط

الرشيد لا لا. انتم قوم مردة كفرتم بنعماني ومرقتم عن ديني ودين آبائي واتخذتم الزندقة لكم محجة وهدّ اركان الدين غايةً. فالقتل القتل جزاؤكم. لا بد من احراق هؤلاء المحرقين (٢ . (يصفّق) مسرور

مسرور لبّيك

يحيى سيّدي مهلًا مهلًا. قد دنت منيّتي ولي كلام اقولهُ لك. اني واولادي ابرياء مما عزوت الينا من المكر والخديعة والزندقة. فالدين الدين اوجبَ علينا حفظ العهود اذ كفرتَ انت بها فانّا نؤمن بالله الواحد الصمد لا جاحدين ولا كافرين ونصدّق كلّما انزل الله على اوليائهِ الصادقين. اما الآن فقد تقدّم الخصم الى موقف الفصل وانت على الاثر والله حكم عدل لا يجور فتقدم فتعلم (٣

ستعلم في الحساب اذا التقينا غدًا عند الاله مَن الظلومُ
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبّهْ للمنيّة يا نؤومُ
الى الديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ

الرشيد الحكم الذي رضيتَ بهِ في الآخرة هو اعدى الخصوم عليك وهو لا يُردُّ قضاؤهُ

---

١) اخبر البلاوي (٣٠) قال : « قال ابن جرير : كان يحيى ينهى ابنهُ جعفر عن منادمة الرشيد ويقول لهُ : انَّ من خدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم . حتى انَّهُ قال للرشيد : يا امير المؤمنين انا اكرهُ مداخلة جعفر لك ولستُ آمنُ ان ترجع العاقبة عليَّ منك » . اطلب ايضًا الطبري (٦٧٦) والفخري (٢٨١) وابن خلكان (١٢٤)

٢) يشير الى عبادة النار عند المجوس والى عقاب الزنادقة

٣) ابن عبد ربّه (٢ : ٢٢٢) والاربلي (١١٨) وابن بدرون (٢٤٣)

يحيى الى الله فيما نابنا نرفع الشكوى فتي يده كشف المضرّة والبلوى (١
رضيتُ به وجعلت الله بيني وبينك فهو يأخذ لي غدًا حقّي منك في الموقف
الاعظم

الرشيد مسرور - السيف والنطع - قيّد الشيخ

يحيى دعني اذهب الى عيالي فاوصي

مسرور لا سبيل الى الذهاب لكن اوصِ

يحيى كل مال لي ولولدي فهو صدقة وكل عبد لنا حرّ وكل من لنا عنده وديعة
او حقّ فهو في حلّ (٢

المشهد الخامس

الرشيد . الفضل . المامون . الحسن . الحسين . جبريل (على حدة يحيى مقيَّد يحرسهُ مسرور) ياسر

المامون (الى يحيى) الى اين تذهب يا جدّ ؟

يحيى الى الموت يا ولدي

المامون قف يا مسرور ناشدتك الله . ابتِ ابتِ (سكوت)

الفضل (على حدة) لا حول ولا . . . من اعلم المامون بالامر . سر يا ياسر وعجّل
بالثورة ولتعلُ الاصوات

المامون يا امير المؤمنين . يا ابتاه

الرشيد ما لك ؟

المامون جدّي يحيى وعمي جعفر بالقيود !

الحسن والحسين . ابونا وجدّنا

الرشيد ولدا جعفر ؟

الحسن ولدا عبدك جعفر

المامون استحلفك بالله وبتربة المهدي وبحبك لي

---

١) المسعودي (٦ : ٤٠٥) وابن خلكان (٥٣٠)

٢) الطبري (٦٧٨) والاربلي (١٠٦)

الرشيد من غبط نعمتي واعتدى وصيتي اعجلتهُ عقوبتي (١

المامون استبقهم لعدوك ابتِ

الرشيد واي عدوّ اعدى منهم ؟

جبريل كذب الواشون وحياة سيّدي (٢

المامون وإن كان هناك ذنب فكلُّ ذنبٍ وان عظم صغيرٌ في جنب عفوك

جبريل انهم إخوان دولة امير المؤمنين واركانُ دعوتهِ فليبرّ بهم توسماً فقد علم الانام انه لا يتعاظمه عفوٌ ولا يتكاءده صفح

الرشيد حدٌّ من حدود الله

جبريل يا امير المؤمنين اجعل رحمتك ذنباً من الذنوب التي تستغفرُ عنها

الرشيد عِظَم الذنوب امات خواطر العفو

الحسين لمين الله هب اولاد يحيى لجودك ايها الملك الهمام (٣

الحسن ارحم ضعفنا وقلّة حيلتنا

الفضل لا تسكن يا امير المؤمنين الى حلاوة ما يجري من القول على السنتهم فان عدتَ عن قصاصهم اذنبت الى الله وهددت ركن الدولة

المامون قبّح الله وجهك يا لمين (٤ ابتِ لا تدع المكرة يسطون على حكمتك وتهاك (سكوت الرشيد مضطربٌ ومتردّدٌ في امره)

[جبريل (على حدة)

ما رمى الدهر آل برمك لمّا ان رمى مُلكهم بامر بديع
ان دهرًا لم يرعَ حقًّا ليحيى غير راعٍ حقًّا لآل الربيع (٥]

---

١) ابن عبد ربه (٣:٣٨)

٢) كان جبريل بن بختيشوع يعرف للبرامكة فضلهم. اطلب البيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ (٢٩٦) وغيره

٣) الشعر لابي قابوس النصراني يستعطف الرشيد

٤) اطلب في الجزء السادس من تاريخ بغداد تاليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور ص ١٤ الخ (طبعة كلر سنة ١٩٠٨) اقوال المامون في الفضل بن الربيع وصفاته وسياساته

٥) المسعودي (٦:٤٠٣)

الرشيد ان الاقدار نافذة والاحكام جارية والبغي حتف الانسان والمكر سهمٌ في نحر صاحبه

(الحسن والحسين يقبلان متذلّلين على اقدام الرشيد ويقبلانها)

الحسن ابونا جعفر رضيعك

الحسين يحيى جدُّنا من دعوتَهُ اباك

الرشيد ما اسمك يا قرّة العين ؟

الحسن الحسن

الرشيد وانت ؟

الحسين الحسين

الرشيد والله يعزّ عليَّ حسنكما وجمالكما . لا رحم اللهُ من ظلمكما

الفضل ان في التأخير ندامة

المامون ابت استحلفك بكل ما هو لديك عزيز . بحق حبّك لي

الرشيد ما العمل ؟

الفضل العجلة العجلة . انجز حكمك والّا . . .

ياسر (يدخل) ظنّ الرشيد على الباب (١ مع حفيدها جعفر

الرشيد ويحك . امُّ جعفر . امي ! او ساعية ؟

ياسر نعم كاشفة وجهها سادلة شعرها محتفية في مشيها

الرشيد لقد احتضنتني يومَ ماتت امي وارضعتني مع الفضل وجعفر فأدعوها امي واتبرّك برأيها وقد آليتُ الّا احجبها وان استشفعتني اشفعتُها . ما الحيلة ؟

الفضل لا تأذن لها

الرشيد أدخل حفيدَها ودَعها

الفضل إن لم أُسرع باثارة الفتنة خاب سعيُنا (يخرج)

الرشيد ربَّ كبدٍ غذتها وكبةٍ فرّجتها وعورةٍ سترتها

---

١) اطلب ابن عبد ربه (٣ : ٢٨٠ — ٢٢) وغيرهُ من المؤرخين تجد وصف هذا المشهد

المشهد السادس

المثلون الحاضرون وجعفر

الرشيد ما شأنُ جدَّتك امّ الرشيد ؟

جعفر هذا ما تقولهُ لك : ايعدو علينا الزمان ويجفونا الاعوان ويمكرُ بنا الخوّان وقد ربّيتُك في حجري واخذتُ برضاك الامان من عدوّي ودهري؟

الرشيد وما ذاك ؟

جعفر ظئرك وابوك بعد ابيك واخوك جعفر رضيعك ووزيرك ونديمك (١

الرشيد امرٌ قضاؤهُ سبق وغضبٌ من الله نفذ

جبريل يمحو الله ما يشاء

الرشيد وهذا ممّا لم يمحُهُ الله

جعفر الغيب محجوب على النبيين فكيف عنك ؟

الرشيد فاذا المنيّة انشبت اظفارها الفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

الحسين ما امّ الرشيد ليحيى وجعفر بتميمة يا امير المؤمنين

الحسن وقد قال الاوّل:

واذا افتقرتَ الى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الاعمالِ

المامون ابتِ. أذكرْ خدمتهم وارحمْ حالهم وهَبْ لهم رضاك

الرشيد اذا انصرفت نفسي عن الشي لم تكدْ اليهِ بوجه آخر الدهرِ تُقبلُ

جبريل ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتهم يمينك فانظر ايَّ كفٍّ تبدّلُ (٢

الحسن قل للخليفة ذي الصنائع م والعطايا الفاشيهْ

وابن الخلائف من قريش م والملوك العاليهْ

ان البرامكة الذين م رُمُوا لديكَ بُداهيهْ

عمّتهمُ لك سخطةٌ لم تبقِ منهم باقيهْ

---

١) الطبري (٥٧٣)

٢) المسعودي (٥ : ٤٦١)

فكأنهم مما بهم أعجازُ نخل خاويه
صُفرُ الوجوه عليهم خلعُ المذلّة باديه
بعد الامارة والوزارة والامور السامية
اضحوا وجلُّ مناهمُ منك الرضا والعافية
الحسين يا عطفةَ الملك الرضى عودي علينا ثانية
الرشيد يا آل برمك انكم كنتم ماوكا عاتية
فعصيتمُ وطغيتمُ وكفرتمُ نعمانية
هذه عقوبة من عصى مَن فوقهُ وعصانيه (١

« قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

جعفر (يفتح حقاً ثميناً كان يحمله)
الرشيد ما هذا ؟
جعفر ذوائبك وثناياك غمستها جدّتنا في المسك وحفظتها تبرّكاً
الحسين كم من مرّة قبّلناها ودعونا لك بالبقاء (الرشيد يلثم الحقّ ويبكي)
المامون تحنّن ابتِ
الحسن نستشفع اليك ونستعين بالله عليك بما صار معنا من كريم جدك وطيب جوارحك
الرشيد ان الله يأمركم ان تؤدّوا الامانات الى اهلها (يريد ارجاع الحُق الى جعفر)
الحسن والله يقول « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »
جبريل « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » (٢
(صراخ من الخارج :) يحيى والبرامكة .. نطلب حياة البرامكة
الرشيد ما هذا ؟ (يدخل الفضل)

---

١) والقصيدة طويلة . اطلب الاثليدي (١٧٦) وابن عبد ربّه (٣ : ٢٢) والباس المكي (نزهة المجالس ١ : ٢٢٩) وابن بدرون (٢٤٠) والبيهقي (المحاسن والمساوئ ٥٧٣) الخ
٢) ابن عبد ربه (٣ : ٢٧) والاغاني (١١ : ٥٤)

الفضل ان مدينة السلام قامت فيها الثورة على قدم وساق والجميع يريدون المبايعة بالخلافة لصاحب البرامكة

الرشيد (يرمي بالخُق الى جعفر) خُذْ يا مسرور الق بيحيى في حبس الزنادقة (١ وضيّق عليه وائتني برأس جعفر ولا تراجعني (٢

يحيى يا من لا يموت ارحم من يموت (٣ (يخرج مع مسرور)

الرشيد (للفضل) هات الصك بإبادة البرامكة عن آخرهم (يختمه) جنّد الجنود حول منزلي وفرّق الجموع ولو ضرباً وقتلاً

الفضل نعم

الرشيد وبث العيون في طلب العلوي وابنيه عبد الله وانس ابن ابي شيخ (٤ وابراهيم بن عثمان (٥ وكل من انتمى الى البرامكة. فلا امان لاحد منهم

المامون ابي

الحسن والحسين. ارحمنا

الرشيد يعزّ عليّ حسنكما وجمالكما. لكن (على حسدة) لا بُدَّ من قتلكما مع ابيكما وامكما

الحسن يا لله

الحسين نموت جميعاً! يا لله!

الرشيد (لياسر) إلحقني بالحسن والحسين مع بعض الخدم الى تخدع اختي العباسة لانجاز مرامي

ياسر نعم سيّدي

الرشيد ومن ذكر البرامكة فلا تصنعنّ به وأمثالَه — (للمامون) تعال

المامون دعني ابكِ (يخرجون جميعاً)

الفضل فزنا بالمراد (يخرج)

---

١) ابن خلكان (١٢٥) ٢) الاتليدي (١٧٤) وسائر المؤرخين

٣) كلمة قالها المأمون عند موته. اطلب المسعودي (٧: ١٠٠-١٠١) وابن البري (٢٢٥)

٤) الطبري (٦٨١) والاربلي (١٠٧) وابن الاثير (٦: ٦٥-٦٦)

٥) الطبري (٦٩٩)

المشهد السابع

الحسن . الحسين . جعفر . ياسر

جعفر الى اين ذاهب بهما ؟ (الحسن والحسين يتعانقان وينوحان)

ياسر اما سمعتَ ؟ الى الموت

الحسن اموت ولا اقبّل امي الحبيبة

الحسين اموت ولا ارى ابي آخر نظرة

الحسن لا اريد ان اموت

جعفر (يناجي نفسه) هذه ساعتك يا ابن علي . (الى ياسر) دعني اقوم مقام احدهما

ياسر لا سبيل الى ذلك

الحسين تموت حبًّا بنا ! لا لا

الحسن انا افديك بروحي !

جعفر اهربا واتركاني مع ياسر

الحسن والحسين . لا لا

ياسر هذا ما يفتّت الاكباد — (الى جعفر) ودّع اخويك واذهب عاجلًا

جعفر ساخلّصهما او اموت

ياسر لا سبيل الى ذلك

جعفر هذا خاتم الوزير قيمتهُ اموال . استر عليَّ يستر الله عليك

ياسر بيّان عندي . . ان لم يرجع الحسن فجعفر بدلًا منه

الحسين لا اريد ان اموت

الحسن وانا لا اريد

جعفر (للحسن) خذ روحي واخرج حالًا

الحسن لا . لن تموت عوضًا عني !

الحسين لا ادع اخي يموت وحده

الحسن (لاخيه الحسين) اهرب ودعني

الحسين اذهب انت وانجُ

الحسن انجُ انت انك الاصغر

جعفر سر مسرعاً فان جدتك بانتظارك عساك تخلصهما وتخلصنا

الحسين العق بالمامون صديقك وسل الرشيد خلاصنا

الحسن سأذهب عساني اخلصهم واخلصكم او اعود فاموت معكم (١ (يخرج)

ياسر (للحسن) عجّل

جعفر اخي الحسين

الحسين انت يا جعفر تقوم مقام اخي (يتعانقان)

جعفر ستموت سوية

الحسين ما اصعب الموت . يا ربِّ قوّني

ياسر لا بد من الاسراع والّا عرف الرشيد ان الحسن قد نجا

جعفر تقتلني!

الحسين عجّلتَ يا ياسر عجّلت

ياسر لا بد (يستل خنجرًا ويذهب بجعفر والحسين الى ما وراء الستار)

جعفر يا من لا يموت ارحم من يموت

(غناء محزن يليه صوت الحسين عن بعد:)

الحسين يا من لا يموت ارحم من يموت (٢

---

١) نقل المستشرق كاترمير (Quatremère) في المجلّة الاسيويّة Journal Asiatique (I . 1861 عن كتاب ديوان الانشاء ان احد ولدَي جعفر من البرامكة نجا من الموت واليه ينتسب حي من احياء ربيعة . واخبر التوربي ان الامير شهاب الدين احمد كان يدّعي انهُ من نسل جعفر والبرامكة . والله اعلم

٢) كانت نكبة البرامكة ليلة السبت اوّل صفر سنة ١٨٧ هجريّة (الطبري ٦٨٥ وغيره)